111 Lahab Tafsir Nazmuddurrar fi tanaasub al aayaat wa al suwar li Baqaaee

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

▲ سورة المسد (لهب)

▲ تفسير الآيات رقم [1– 5]

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)}

لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مر عليهم مع الذلة من القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب– من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين مع قربه منه– بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت عليه أو يذل، فشفى غلَّ هذا السؤال، وأزيل بما يكون له من النكال، وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر

والنصـــر، والإظهار على الأعداء بالعز والقهر، مذكراً له صـــلى الله عليه وســـلم بما كان أول الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعَدد والعُدد، وأنه لم يغن عنهم شـيء من ذلك، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى {قل للذين كفروا سـتغلبون وتحشـرون إلى جنهم وبئس المهاد} [آل عمران: 12] وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضـد والتناصـر والتحالف والتعاقد، فذكر تعالى أعداهم له وأقربهم إليه في النسـب إشـارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد. وإلى أنه لم ينفعه قربه له ليكون ذلك حاملاً لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى ســـبب أو نســـب غير ما شـــرعه ســبحانه، فقال تعالى معبراً بالماضــي دلالة على أن الأمر قد قضــى بذلك وفرغ منه، فلا بد من كونه ولا محيص: {تبت} أي حصـــل القطع الأعظم والحتم الأكمل، فإنها خابت وخسرت غاية الخسارة، وهي المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة، وجعل خطاب هذه السـورة عن الله ولم يفتتحها ب «قل» كـأخواتهـا لأن هـذا أكثر أدبـاً وأدخـل في بـاب العـذر وأولى في مراعاة ذوي الرحم، ولذلك لم يكرر ذكرها في القرآن، وأشـد في انتصـــار الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم وأقرب إلى التخويف وتجويز سرعة الوقوع.

ولما كانت اليد محل قدرة الإنسان، فإذا اختلت اختل أمره، فكيف إذا حصل الخلل في يديه جميعاً، قال مشيراً بالتثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شـيئاً، ولأن التثنية يعبر بها عن النفس، ومشـيراً بالكنية وإن كان يؤتى بها غالباً للتشريف إلى مطابقة اسمه لحاله، ومجانسته الموجبة لعظيم نكاله:

{يدا أبي لهب} فلا قدرة له على إعطاء ولا منع، ولا على جلب ولا دفع، وإشارة إلى أن حسن صورته لم تغن عنه شيئاً من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم«

لأنه إنما كني بهذا لإشراق وجهه وتوقد وجنتيه، ولأنها أشهر، فالبيان بها أقوى وأظهر، والتعبير بها- مع كونه أوضح- أقعد في قول التي هي أحسن. لأن اسمه عبد العزى وهو قبيح موجب للعدول عنه غيرة على العبودية أن تضاف إلى غير مستحقها.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: هذه السورة وإن نزلت على سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد، وانتهى ما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وأديت ما تحملته وحان أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين الله أفواجاً، واستجابتهم بعد تلكؤهم، والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك وإن كان أقرب الناس إليك. فقد فصلت سورة {قل يا أيها الكافرون} بين أوليائك وأعدائك، وبان بها حكم من اتبعك من عاداك، ولهذا سماها عليه الصلاة والسلام المبرئة من النفاق، وليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار إلا بالإيمان، وأن القرابات غير نافعه ولا مجدية شيئاً إلا مع الإيمان {لكم دينك ولي دين} {أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون} [يونس: 41]، {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} [التوبة: 71] وههنا انتهى الكتاب بجملته- انتهى.

ولما كان ربما خص التباب بالهلاك، وحمل على هلاك اليدين حقيقة، وكان الإنســـان لا يزول جميع منفعته بفوات يديـه وإن كان قد يعبر بهما عن النفس، قال مصـــرحاً بالمقصـــود : {وتب} أي هو بجملته بتمام الهلاك والخسران، فحقق بهذا ما أريد من الإسناد إلى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقاء بعده، والظاهر أن الأول دعاء والثاني خبر، وعرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يغني إلا إن وقع الاقتداء بهم في أفعالهم لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم.

ومادة «تب» و«بتّ»- الجامعة بجمع التاء والباء للســببين الأدنى الباطني والأعلى الظاهري- تدور على القطع المؤدي في أغلب أحواله إلى الهلاك، لأن من انقطع إلى الأسباب معرضاً عن مسببها كان في أعظم تباب، وربما كان القطع باستجماع الأسباب، فحصل العوز بالمقاصد والمحابّ، قال ابن مكتوم في الجمع بين المحكم والعباب: التب والتباب: الخســـار، وتباً له- على الدعاء، وتباً تبيباً- على المبالغة، قال الإمام أبو عبد الله القزاز: كأنك قلت: خسراناً له، وهو المصدر، نصب نصب سقياً له، قال ابن دريد: وكأن التب المصـــدر والتباب الاســـم، والتبب والتباب والتبيب: الهلاك، والتتبيب النقص والخســـار، وكل هذا واضـــح في القطع عن الخير والفوز، قال: والتابّ: الكبير من الرجال، والأنثى تابة، وقال القزاز: إذا سـألت الرجل عن المرأة قلت: أشـــابة هي أم تابة، أي أم عجوز فانية، ومعلوم أن كبر الســـن مقرب من القطع والهلاك، والتاب: الضعيف، والجمع أتباب- هذلية، وحمار

تاب الظهر – إذا دبر، وجمل تاب كذلك نادرة، ولا شك أن الدبر والضعف هلاك في المعنى.

وتب: قطع مثل بت، أي بتقديم الموحدة ووقعوا في تبوب منكرة، وهو بتبة أي بحالة شديدة، والتبي – بالفتح والكسر: ضرب من تمر البحرين، قيل: هو رديء يأكله سقاط الناس، وأتب الله قوته: أضعفها، وتببوهم تتبيباً: أهلكوهم، وتبتب: شاخ، وكل ذلك واضح في القطع بالهلاك والخسار، والتبوب يعني بالضم: ما انطوت عليه الأضلاع كالصدر والقلب، وهذا يحتمل الخير والشر، فإن القلب إذا فسد فسد الجسد كله، وإذا صلح صلح الجسد كله، فيكون حينئذ القطع، بالفوز والنجاة، أو لأن انطواء الأضلاع عليه قطعة عن الخارج، واستتب الأمر: تهيأ واستوى. وقال القزاز: ويقال: هذه العلة لا تستتب في نظار هذا القول، أي لا تجري في نظائره، كأنه من باب الإزالة إذ إن السين لما جامعت حرف السببين آذنت بالنجاح والفوز والفلاح، فإنها حرف تدل على الاستيفاء في الإنباء عن الشيء والتتمة والألفة، وأحسن من هذا أنها إذا جرت في النظائر أوضحتها وكشفت معانيها ففصلتها وأبانتها وقطعتها عن غير النظائر بما أزالت من الإلباس بها، والذي يحقق معاني التب ويظهر أنه يؤول إلى القطع مقلوبه، وهو البت – بتقديم الموحدة التي هي السبب الظاهر الذي هو أقوى من حيث إنه لا يتحقق إلا بكمال السبب الباطني، يقال: بت الشيء يبته بتاً، وأبته: قطعه قطعاً مستأصلاً، وبت هو يُبت وبيِت بتاً وانبت، ولعله استوى فيه المجرد والمزيد في التعدية دلالة على أن ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال بحيث لا مزيد عليه، وكذا

استوى القاصر مجرداً ومطاوعاً مع المتعدي في أصل المعنى. وصدقه بتة: بتلة باينة من صـــاحبها، وطلقها ثلاثاً بتة وإبتاتاً، أي قطعاً لا عود فيه، ولا أفعله البتة- كأنه قطع فعله، قال سيبويه: وقالوا: قعد البتة- مصدر مؤكد، ولا يستعمل إلا بالألف واللام، وبت عليه القضـاء بتاً وأبته: قطعه، وسكران ما يُبت كلاماً وما يُبت أي ما يقطعه، قال القزاز : يُبت من أبت، ويبَت من بَتَّ، وسـكران باتّ: منقطع عن العمل بالسـكر، وأبت يمينه: أمضـاها، أي قطعها عن الحنث، وبتت هي : وجبت وحلت بتاً وبتة وبتاتاً، وكل ذلك من القطع، وأبت بعيره، أي قطعه بالســـير، والمنبت في الحديث : الذي أتعب دابته حتى عطب ظهره فبقي منقطعاً به، وقال القزاز : هو الذي أتعب دابته حتى قطع ظهرها فبقي منبتاً به، أي منقطعاً به، وبت عليه الشـهادة وأبتها : قطع عليه بها وألزمه إياها، وبت عليه القضـــاء وأبته، قطعه، والبات : المهزول الذي لا يقدر أن يقوم- كأنه قد انقطعت قوته، وفي الحديث «لا صيام لمن لم يبت الصيام من الليل«

فمعناه: يوجبه، أي يقطعه على نفسـه قبل الفجر، من أبت عليه الحكم- إذا قطعـه، وروي : يبـت، من بـت- إذا قطع، وكلاهما بمعنى، وهما لغتان فصـيحان. وروي في حديث «من لم يبت» من البيات، وأحمق بات: شـديد الحمق- كذا قاله الليث، وقال الأزهري : هو تاب- بتأخير الموحدة، والبت : كسـاء غليظ مهلهل مربع أخضـر، وقيل: هو من وبر وصـوف، والجمع بتوت، والبتات أي بالتخفيف : متاع البيت والزاد، كأن ذلك يقطع صـــاحبه عن الحاجة، وبتتوه: زودوه، أو أن ذلك من الإزالة لأنه صـلة لصـاحبه ورفد

لأن الاستقراء حاصل بأن كل مادة لها معنى غالب تدور عليه وفيها شيء لإزالة ذلك المعنى، وفلان على بتات أمر- إذا أشـــرف على فراغه، فإنه ينقطع حينئذ، وتقول: طحنت بالرحى بتاً- إذا ابتدأت الإدارة عن يســـارك، كأنه دال على القطع بتمام العزيمة لأن ذلك أقوى للطاحن وأمكن، وانبت الرجل: انقطع ماء ظهره، ويقال: هذا حبل بتّ: إذا كان طاقاً واحداً، كأنه لما كان كذلك فكان ســـهل القطع أطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل، وقد انبت فلان عن فلان- إذا انقطع وانقبض.

ولما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصـــة وغيره من الكفار من التكذيب بلســـان حاله وقاله لما له من المال والولد، وما هو فيه من القوة بالعَدد والعُدد، زاد الأمر تحققاً إعلاماً بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبراً، أو مستفهماً منكراً {ما أغنى} أي أجزى وناب وسد {عنه} أي عن أبي لهب الشقي الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب {ماله} أي الكثير الذي جرت العادة بأنه ينجي من الهلاك.

ولما كان الكسب أعم من المال، وكان المال قد يكسب منافع هي أعظم منه من الجاه وغيره، وكان الإنسان قد يكون فائزاً ولا مال له بأمور أثلها بسعيه خارجة عن المال، قال مفيداً لذلك مبيناً أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به {وما كســـب *} أي وإن كان ذلك على وجه هائل من الولد والأصـــحاب والعز بعشيرته التي كان يرضيها باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في المحافل يؤذيه ويكذبه وينهى الناس عن تصــــديقه مع أنه كان قبل ذلك يناديه بالصادق الأمين، وكان ابنه عتبة شديد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم

حتى قال النبي صـــلى الله عليه وســلم «اللهم ســلط عليه كلباً من كلابك» فكان أبو لهب يعرف أن هذه الدعوة لا بد أن تدركه، فلما حان الأمر وكان قد آن ما أراد صاحب العز الشامخ، سبب له أن سافر إلى الشام فأوصى به أبوه الرفاق لينجوه رغم من هذه الدعوة، فكانوا يحدقون به إذا نام ليكون وســـطهم، والحمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة بهم، فلم ينفعه ذلك بل جاء الأسد فتشمم الناس حتى وصل إليه فاقتلع رأسه ولم ينفع أباه ذلك، بل اســتمر على ضــلاله لما ســبق في علم الله تعالى حتى كانت وقعة بدر فلم يخرج فيها فلما جاء الفلال كان منهم ابن أخيه أبو ســفيان بن الحارث فقال: هلم يا ابن أخي فعندك الخبر: فقال نعم! فوالله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يفتلوننا كيف شــاؤوا ويأســروننا كيف شــاؤوا، ومع ذلك والله مللت الناس لقينا رجالاً بيضــاً على خيل بلق بين الســماء والأرض ما تليق شــيئاً– أي ما تبقيه– ولا يقوم لها شــيء، قال أبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضــي الله عنه وكان جالســاً في حجرة في المســجد يبري نبلاً، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وكنا نكتم إسلامنا، فما ملكت نفسي أن قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضــرب وجهي ضــربة شــديدة، قال: وثاورته فاحتملني فضــرب بي الأرض ثم برك عليّ يضــربني وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل– يعني سيدته– زوجة العباس رضــي الله عنها إلى عمود الحجرة– أي الخيمة– فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أي عدو الله إن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا ســبع ليال أو ســتاً حتى رماه الله بالعدســة فقتله وما

نفعه إبعاده عن الخطر بتخلفه عن بدر، والعدسة بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل غالباً، قال القزاز: كانت تعدي في الجاهلية قلما يسلم منها أحد، تقول: عدس الرجل فهو معدوس، كما تقول: طعن فهو مطعون– إذا أصابه الطاعون– انتهى.

ولأجل تشاؤم العرب بها ترك أبو لهب من غير دفن ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، ويقال: إنهم حفروا له حفرة بعيدة عنه من شدة نتنه ثم دفعوه بخشب طوال حتى رموه فيها ورجموه بالحجارة والتراب من بعيد حتى طموه، فكان ذلك سنة في رجمه فهو يرجم إلى الآن، وذلك من أول إعجاز هذه الآيات أن كان سبة في العرب دون أن يغني عنه شيء مما يظن أنه يغني عنه.

ولما أخبر سبحانه وتعالى بوقوع هذا التبار الأعظم به، وكان لا عذاب يداني عذاب الآخرة، بينه بقوله: {سيصلى} أي عن قرب بوعد لا خلف فيه {ناراً} أي فيدس فيها وتنعطف عليه وتحيط به.

ولما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرق أكباد الأولياء، وكانت النار قد تكون جمراً ثم تنطفئ عن قرب قال: {ذات لهب *} أي لا تسكن ولا تخمد أبداً لأن ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها ب «ذات»، وذلك بعد موته وليس في السورة دليل قاطع على أنه لا يؤمن لجواز أن يكون الصلي على الفسق، فلا دليل فيها لمن يقول: إن فيها التكليف بما علم أنه محال ليكون قد كلف بأن يؤمن وقد علم أنه حكم بأنه لا يؤمن، وإن كان الله قد حقق هذا الخبر بموته كافراً في الثانية من الهجرة

عقب غزوة بدر وهي الخامسة عشرة من النبوة، لكن ما عرف تحتم كفره إلا بموته كافراً لا بشـــيء في هذه الســورة ولا غيرها، ومن الغرائب أن الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة، فكانت مشيرة إلى سنة موته بعد أن رأى تبابه في وقعة بدر وغيرها بعينه، فإذا ضـــممنا إليها كلمات البسملة الأربع وازت سنة ست من الهجرة، وهي سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السببي التي تحقق فيها تبابه وخساره عند كل من عنده إيمان بالغيب ودفع للريب، فإذا ضـــممت إليها الضـــميرين البارزين اللذين هما أقرب إلى الكلمات الاصطلاحية من المستترة وازت ســنة ثمان من الهجرة التي كان فيها الفتح الحقيقي، فتحقق عند قريش كافة ما أنزل فيه في هذه السورة، فإذا ضممت إليها الضمائر الثلاثة المستترة وازت سنة إحدى عشرة على أنك إذا بدأت بالضمائر المستترة حصلت المناسبة أيضاً، وذلك أنها توازي سنة تسع وهي ســـنة الوفود التي دخل الناس فيها في الدين أفواجاً وحج فيها بالناس أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أميراً، ونودي في الموسم ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشـــرك، فتحققت خيبة أبي لهب عند كل من حضـــر الموسم لا سيما من كان يعلم دورانه وراء النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه له من مسلم وغيره، فإذا ضـممنا إلى ذلك الضـميرين البارزين وازت سـنة إحدى عشرة أول سني خلافة الصديق رضي الله عنه التي فتحت فيها جميع جزيرة العرب بعد أن لعب الشيطان بكثير من أهلها.

فرجعوا بعد أن قتل الله منهم من علم أنـه مخلوق لجهنم، وتحقق حينئذ ما لأبي لهب من التباب والنار ذات الالتهاب عند العرب كافة بإيمانهم عامة

في السـنة الحادية عشـرة من الهجرة بعد مضـي ثلاث وعشـرين سـنة من النبوة، واسـتقر الأمر حينئذ، وعلم أن الدين قد رسـخت أوتاده وثبت عماده، وأن الذي كان يحميه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حماه بعده وهو سـبحانه حي لا يموت وقادر لا يعجزه شـيء، وعدد كلمات السـورة ثلاث وعشـرون وهي توازي سـنة حجة الوداع سـنة عشـر، فإنها السـنة الثالثة والعشـرون من المبعث وفيها كمل الدين ونزلت آية المائدة. وأخبر النبي صـلى الله عليه وسـلم أن الشـيطان قد أيس أن يعبد بأرض العرب، فتحقق كل الناس لا سـيما من حضـر الموسـم تباب أبي لهب الذي كان يدور في تلك المشاهد وراء النبي صلى الله عليه وسلم يكذبه ويؤذيه

{إن في ذلك لعبرة} [آل عمران: 13- والنور: 44].

ولما أخبر سبحانه وتعالى عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار، وكان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى أنه يبذل نفسه دون ذلك لا سـيما العرب، فإنه لا يدانيهم في ذلك أحد، زاده تحقيراً بذكر من يصـونها معبراً عنها بما صـدرها بازراً صـورة وأشـنعها، فقال مشـيراً إلى أن خلطة الأشـرار غاية الخسـار، فإن الطبع وإن كان جيداً يسـرق من الرديء، فكيف إذا كان رديئاً وإن أرضى الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك {وامرأته} أي أم جميل أخت أبي سـفيان بن حرب أمية بن عبد شـمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والصلي من غير أن يغني عنها شـيء من مال ولا حسب ولا نسب، وعدل عن ذكرها بكنيتها لأن صـفتها القباحة وهي ضـد كنيتها، ومن هنا تؤخذ كراهة التلقيب بناصـر الدين ونحوها لمن ليس

متصـــفاً بما دل عليه لقبه، ثم وصـــفها بما أشـــار إليه ذنبها وأكمل قبيح صـــورتها فقال: {حمالة الحطب} أي الحاملة أقصـــى ما يمكن حمله من حطب جهنم بما كانت تمشـي به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت والنميمة الذي تحمل به على معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وشدة أذاه وإيقاد نار الحرب والخصومة عليه صلى الله عليه وسلم، من قول الشاعر:

من البيض لم تصـــطد على ظهر لأمه *** ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

أراد النميمة، وعبر بالرطب للدلالة على زيادة الشـــر بما فيه من التدخين وشبهت النميمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس كما أن الحطب يكون وقوداً للنار فتفرقه، وكذا بما كانت تحمل من الشـــوك وتنثره ليلاً في طريق النبي صـلى الله عليه وسـلم لتؤذيه، وكانت تفعله بنفسـها من شـدة عداوتها وتباشــره ليلاً لتســتخفي به لأنها كانت شـريفة، فلما نزلت سـورة صوّرتها بأقبح صورة فكان ذلك- أعظم فاضح لها، وقراءة عاصم بالنصب للقطع على الشـــتم تؤدي أن امرأته مبتدأ وأن الخبر {في جيدها} أي عنقها وأجود ما فيها- هو حال على التقدير الأول {حبل} كالحطابين تخسـيسـاً لأمرها وتحقيراً لحالها {من مسد} أي ليف أو ليف المقل أو من شيء قد فتل وأحكم فتله، من قولهم: رجل ممســود الخلق، أي مجدوله- وقد رجع آخرها على أولها، فإن من كانت امرأته مصـورة بصـورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق حبلها في جيدها فهو في غاية الحقارة، والتباب والخســاســة والخسارة وحاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه وجار عن قصد السبيل

واجتهد بعد ضـلاله في إضـلال غيره، وظلم الناصـح له الرؤوف به الذي لم يأل جهداً في نصـحه على ما تراه من أنه لم يأل هو– جهداً في أذاه واعتمد على ماله وأكسـابه فهلك وأهلك امرأته معه ومن تبعه من أولاده، ومن أعظم مقاصـد سـورة النسـاء المناظرة لها في رد المقطع على المطلع التواصـل والتقارب والإحسـان لا سـيما لذوي الأرحام، والعدل في جميع الأقوال والأفعال، فكان شرح حال الناصـح الذي لا ينطق عن الهوى، وحال الضـال الذي إنما ينطق عن الهوى– قوله تعالى:

{يريد الله ليبين لكم ويهديكم سـنن الذين من قبلكم} [النسـاء: 26] وختمها إشـارة إلى التحذير من مثل حاله، فكأنه قيل: يبين الله لكم أن تضـلوا فكونوا كأبي لهب في البوار، وصـلي النار– كما تبين لكم، فكونوا على حذر من كل ما يشـابه حاله وإن ظهر لكم خلاف ذلك، فأنا أعلم منكم، والله بكل شيء عليم «والحمد لله رب العالمين».